

نفحات القرآن

[407] التقوى، وليس هذا بامر طبيعي فحسب بل انه اصل اساسي للسير في طريق المعرفة. فيمكن الاستدلال على تأثير التقوى على العلم بالطرق التالية: أ - إن السنخية والتنسيق تسببان الجاذبية والارتباط دائماً. فعندما تتطهر روح الانسان وتزكى بالتقوى تحصل جاذبية قوية بينها وبين المعارف والعلوم الحقيقية "فالسنخية تبعث على الارتباط العجيب". ب - إن منجل التقوى يحصد جميع الأشواك من مزرعة روح الانسان، ويُعدّ القلب وبهيئه لنمو بذور العلم والمعرفة، بل إذا دققنا النظر فان بذور العلوم جميعها قد نثرها الله في هذه المزرعة، والمهم في الأمر هو حصد الأعشاب المزاحمة وإرواء المزرعة. وقد جاء في حديث للمسيح(عليه السلام) مخاطباً فيه أنصاره قائلاً: "ليس العلم في السماء فينزل اليكم، ولا في تخوم الارض فيصعد عليكم، ولكن العلم مجبول في قلوبكم مركز في طبائِعكم، تخلقوا باخلاق الروحانيين يظهر لكم"(1). ج - نعلم أنه لا وجود للخيل والحسد في مبدأ عالم الوجود، وعلى ما جاء في الآية: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) (الحجر / 21)، فان خزائن النعم غير المتناهية عند الله، ما ينقصه زيادة كرمه وكثرته شيئاً، بل ان جوده وكرمه يتجلى أكثر "ولا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُوداً وَكَرَمًا". وعليه، فان الحرمان سببه عدم أهلية الأشخاص، إن التقوى تجعل الانسان أهلاً للفيض الالهي، وأي فيض أرفع شأنًا من المعارف والعلوم الالهية؟ إن القلوب كالأوعية كما يقول امير المؤمنين(عليه السلام): (انَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ _____ 1 - تفسير الصراط المستقيم الجزء 1 الصفحة 267.